نُشر يوم 18 أيلول 2025

الجيش الإسرائيلي يدمّر تراث غزة الثقافي بشكل كارثي، في ما يُشكّل جرائم حرب وجرائم ضد الانسانية

أفاد مركز القلم الأمريكي في تقرير جديد صدر اليوم بعنوان "كل ما فُقِد"، أن التدمير الواسع النطاق الذي شنه الجيش الإسرائيلي للمواقع الثقافية والمكتبات والمتاحف والجامعات في غزة قد وجّه ضربة كارثية للحياة الثقافية والتراث في غزة، ممّا يُشكّل جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية، كما يُقدّم دليلًا على نية الإبادة الجماعية.

يتناول التقرير التدمير الكلي أو الجزئي الذي لحق بـ 36 موقعًا ثقافيًا وتاريخيًا ودينيًا وتعليميًا، كما يتضمن ثلاث حالات حرق كتب وحالتي نهب مُبلغ عنهما. وفي ما لا يقل عن ست حالات من أصل 36 حالة فحصها مركز القلم الأمريكي، ثبُت وجود أدلة على أن الجيش الإسرائيلي استهدف المواقع المعنية عمدًا، وفي معظم الحالات الأخرى، بينما بدا في معظم الحالات الأخرى أن الدمار نتج عن هجمات عشوائية. ويُعتبر كلٌّ من الاستهداف المتعمّد للبنية التحتية المدنية - بما في ذلك مواقع التراث الثقافي والمؤسسات التعليمية - والاعتداءات العشوائية على البنية التحتية المدنية، جرائم حرب.

"التراث الثقافي لا يقتصر على المباني أو القطع الأثرية؛ بل هو تجسيد لهوية الشعوب وتاريخها ومستقبلها"، قالت سمر لوبيز، الرئيسة التنفيذية المشاركة المؤقتة والمسؤولة الرئيسية عن برامج حرية التعبير في مركز القلم الأمريكي. "بالنسبة للكتّاب والفنانين الذين تواصلوا مع مركز القلم الأمريكي، كان التراث الثقافي وسيلة للفلسطينيين والفلسطينيات في غزة ليقولوا: 'نحن هنا، لقد عشنا، وهذا ما صنعناه'. وفي وقتٍ تتأرجح فيه حياة الكتّاب الفلسطينيين وأصواتهم، ومعهم جميع المدنيين في غزة، على المحك، فإن تدمير هذا التراث لا يمحو تاريخهم فحسب، بل يقضي أيضًا على أملهم في المستقبل."

يتفق مركز القلم الأمريكي مع الإجماع السائد بين منظمات حقوق الإنسان على أن سياسات وأفعال الحكومة الإسرائيلية في غزة ترقى إلى جريمة الإبادة الجماعية بموجب القانون الدولي، استنادًا إلى أعمال التوثيق المباشرة والخبرة الواسعة لمجموعة منظمات حقوق الإنسان الدولية والفلسطينية والإسرائيلية، وهيئات الأمم المتحدة، وخبراء الإبادة الجماعية.

يدعو مركز القلم الأمريكي الحكومة الإسرائيلية إلى الوقف الفوري لهجماتها على التراث الثقافي، والوفاء بالتزاماتها بموجب القانون الدولي في حماية الممتلكات الثقافية. كما يدعو إلى فتح تحقيقات في حجم الدمار الثقافي الواسع باعتباره يشكّل جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية ارتكبها الجيش الإسرائيلي، ويُعدّ دليلاً على نية الحكومة الإسرائيلية في ارتكاب إبادة جماعية. كذلك، يدعو مركز القلم الأمريكي إلى التحقيق في أفعال حركة حماس باعتبارها ترقى إلى جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية. ويحثّ المركز الحكومة الأمريكية على الوقف الفوري لجميع عمليات نقل الأسلحة الهجومية إلى إسرائيل، إلى أن يتم التأكد من عدم استخدامها في ارتكاب جرائم حرب أو انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، وذلك بما يتماشى مع القانون الأمريكي.

دُمرت مئات المواقع التراثية والمباني التاريخية في غزة جراء الهجمات العسكرية الإسرائيلية، ويقدر الخبراء أن تكاليف الصون العاجل ستتجاوز 31.2 مليون يورو (نحو 36.4 مليون دولار أمريكي).

تشمل الحالات الواردة في التقرير التدمير الكلي أو الجزئي للعديد من المكتبات في غزة، بما في ذلك التدمير الكامل للمكتبة العامة في غزة التي كانت تضم 10,000 كتاب باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية. كما دُمر ما لا يقل عن ثماني دور نشر ومطابع، بالإضافة إلى العديد من المكتبات، بما في ذلك مكتبة سمير منصور المكونة من ثلاثة طوابق والتي تضررت بشدة خلال غارة جوية في 10 أكتوبر/تشرين الأول 2023، والتي كانت تحتوي على آلاف الكتب.

وتشمل المواقع الثقافية الأخرى التي تضررت أو دُمِّرت المسجد العُمَري الكبير، الذي يعود تاريخه إلى القرن السابع والذي يضم مكتبة تعود إلى القرن الثالث عشر، وحمام السمرا التاريخي، والفسيفساء البيزنطية التي يبلغ عمرها 1500 عام، ومتحف القرارة الثقافي.

كما دمرت القوات العسكرية الإسرائيلية جزئيًا أو كليًا جميع الجامعات والكليات في غزة، مما أدى إلى حرمان ما لا يقل عن 90 ألف طالب/ة من إكمال تعليمهم. قُتل ما لا يقل عن 105 أكاديميا/ة، ووثق مركز القلم الأمريكي مقتل 151 شخصية ثقافية فلسطينية منذ 7 أكتوبر 2023. وحتى 10 ايلول 2025، قُتل أكثر من 65 ألف فلسطيني - رجال ونساء وأطفال - وجُرح ما يقرب من 163 ألفًا خلال الحرب.

قالت ليزل جيرنثولتز، المديرة الإدارية لمركز القلم/بارباي لحرية الكتابة في مركز القلم الأمريكي : "التراث الثقافي محمي بموجب القانون الدولي كونه يجسّد ذاكرة المجتمعات وكرامتها وقدرتها على الصمود. يجب على المجتمع الدولي ألا يكتفي بإدانة سلوك الجيش الإسرائيلي الذي يعد انتهاكًا للقانون الدولي، بل يجب عليه أيضًا أن يتخذ إجراءات حازمة لمحاسبة الجناة ، وضمان احترام الحماية القانونية، وصون الثقافة والتاريخ المعرضَين للهجوم وإعادة بنائهما."

وصف الكاتب محمود جودة، الذي أُجريت معه مقابلة من أجل التقرير، كيف دُمّر منزله بالكامل في حي الريما بمدينة غزة، إلى جانب مكتبته الشخصية ومسودة روايته شبه المكتملة، التي وصفها بأنها "عزيزة جدًا".

وقال: "كانت منازلنا في مخيمات اللاجئين أشبه بمتاحف صغيرة. لدى كل واحد منا شيء ورثه عن أجداده، شيء من نزوحهم عام 1948، وهي عملية مستمرة الآن منذ 76 عامًا... أمّا الآن، فقدنا كل شيء".

قالت كلاريس روزاز شريف الرئيسة التنفيذية المشاركة المؤقتة و المسؤولة الرئيسية عن البرامج الأدبية: "يجب أن نتحدث بشكل قاطع دفاعًا عن كرامة الفلسطينيين وانسانيتهم وبقائهم. إن تدمير مكتبات غزة ومحلات بيع الكتب - مستودعات المعرفة والذاكرة التي يعمل فيها المثقفون والأكاديميون— يشكل اعتداء ليس على المباني والكتب فحسب، بل على شريان الحياة للهوية الثقافية للشعب. عندما يتحوّل 10,000 كتاب إلى رمادٍ، وتصبح كل جامعة أنقاضًا، فإنّ الطلاب ليسوا وحدهم من يفقدون مستقبلهم، بل يُسلب مجتمع بأكمله من تاريخه وصوته وحقه في التعلم".

بدأت الحملة العسكرية الإسرائيلية الحالية ردًا على الهجوم الذي قادته حماس على إسرائيل في 7 أكتوبر 2023 والذي أسفر عن مقتل 1100 شخص واحتجاز 251 شخصًا كرهائن. وقد وجدت جماعات حقوق الإنسان أن هجمات 7 أكتوبر تشكل جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في غزة. أدى استخدام حماس للبنية التحتية المدنية— بما في ذلك المواقع الثقافية مثل المساجد—وبناء واستخدام الأنفاق التي تُشيّد غالبًا تحت المباني المدنية أو بالقرب منها، إلى تعريض المدنيين/ات الفلسطينيين/ات والبنية التحتية المدنية، بما في ذلك التراث الثقافي للخطر، مماً يشكل كذلك جريمة حرب. يدعو مركز القلم الأمريكي إلى التحقيق في انتهاكات القانون الدولي التي ارتكبتها حماس.

ردًا على طلب مركز القلم الأمريكي للحصول على معلومات حول استهداف مواقع التراث الثقافي والمؤسسات والجامعات المحددة في التقرير، أشارت قوات الدفاع الإسرائيلية إلى "التداخل غير المسبوق لحماس في البنية التحتية المدنية". لم يقدم ردُّهم أي معلومات تتعلق بحالات التدمير الثقافي المحددة المفصلة في التقرير. إن سلوك حماس غير القانوني لا يعفي حكومة إسرائيل من التزاماتها بموجب القانون الدولي.

يُلزم القانون الدولي، بما في ذلك اتفاقية لاهاي لعام 1954 بشأن حماية الممتلكات الثقافية، الدول بحماية الممتلكات الثقافية داخل أراضيها، وكذلك في الأراضي المحتلة. كما يحظر استخدام الممتلكات الثقافية لأغراض عسكرية، وتؤكد ضرورة حمايتها من الأضرار أو التدمير.

كما دعى مركز القلم الأمريكي إلى وقف فوري لإطلاق النار وإنهاء الحرب، حتى يتسنى البدء في دعم إعادة بناء القطاع الثقافي في غزة. وطالب المركز بدعم الكُتّاب/ات والفنانين/ات والمنتجين/ات الثقافيين/ات الراغبين/ات في العودة إلى غزة من خلال برامج توفر دعمًامعاشياً، والمشاركة في مبادرات الترميم والمشاريع الاجتماعية، وغيرها من الفرص، مع التركيز على القيادة المحلية والمشاركة وحماية الحقوق الثقافية. بالإضافة إلى ذلك، يدعو مركز القلم الأمريكي

إلى توفير البحوث والمنح الدراسية وبرامج التبادل للعاملين/ات في المجال الثقافي والباحثين/ات المتضررين/ات من الحرب، بما في ذلك المساعدة في الحصول على التأشيرات والسكن والمخصصات المالية والتواصل والمشاركة في الفعاليات والدعم النفسي والاجتماعي وتوفير الدعم المباشر لتمويل المنظمات الثقافية الفلسطينية وتلك التي تدعم الإنتاج الإبداعي في غزة.

عن مركز القلم الأمريكي:

تعمل المنظمة عند نقطة الالتقاء بين الأدب وحقوق الإنسان لحماية حرية التعبير في الولايات المتحدة والعالم أجمع. نحن ندافع عن حرية الكتابة، مؤمنين بقوة الكلمة في التأثير على العالم وإحداث التغيير. للتعبير عن مهمتها تسعى منظمتنا إلى توحيد الكتاب وحلفائهم لإعلاء الإبداع والدفاع عن الحريات. يمكنكم الاطلاع على المزيد عبر الموقع pen.org.